التصوير والجمال

ندع الحرب واوزارها ونلتفت الى موضوع آخر نهدي اليهِ قدوم مصور ماهر في حفر الصور الى هذهِ العاصمة وهو فن تصوير الاشخاص بحيث تكون الصورة منطبقة على الاصل تظهر فيها هيئة المصوَّر وملامحهُ وما يبدو في وجههِ عادةً مما يعرف بهِ ويمتاز على غيرهِ ولا سيما اذا كان جميل الطلعة . فان الصور الشمسية لا تفي بذلك غالبًا لانها تخفي لون البشرة وتستر بعض الملامح التي يمتاز بها الجمال حتى ان جميل المنظر يظهر فيها احيانًا ولا لمحة جمال على وجههِ والذي لا يُعَدُّ جميلاً يظهر فيها وقد استجمع لهُ الجمال كلهُ

لا يعلم بالتحقيق اي امَّة سبقت غيرها الى فن التصوير لكن وُجد في المدافن المصرية صور كثيرة من عهد اليونان والرومان بعضها صور رجال وبعضها صور نساء والمصوَّرون في اعمار مختلفة اولاد وشبان وكهول وشيوخ ولهم هيآت وملامح مختلفة فلا يعقل الاَّ ان تلك الصور كانت تمثلهم حقيقةً . هذهِ هي اقدم صور الاشخاص الباقية الى الآن اما تماثيلهم فاقدم من ذلك كثيرًا . ولكن جاء في التاريخ ما يدلُّ صريحًا على ان تصوير الاشخاص كان اقدم من ذلك فقد جاء فيهِ ان باينوس صوَّر معركة ماراثون التي قهر فيها اليونان جنود الفرس سنة ٤٩٠ قبل المسيح وكان فيها رسوم قواد الاثينيين وقواد البرابرة ولكن لا دليل على ان رسومها كانت منطبقة على الاصل لان المصوِّر صورها بعد موت اصحابها ولعلهُ اكتفى برسم ملابسهم واسلحتهم كما كانت او كما يعهد فيها ورسم الوجوه كما يتصوَّرها اهل زمانهِ . ويقال ان المصور ميكون ساعدهُ في تصوير هذه الصورة وجعل قوَّاد البرابرة اكبر قامة من قوَّاد اليونان فقرَّم ثلاثين منهم اي نحو مئة جنيه فلو كانت الصور حقيقية ما حدث ذلك

واشهر مصوري القدماء ابلس مصور الاسكندر المكدوني ويقال انهُ صور الاسكندر مرة صورة اعطاهُ عليها ما يزيد على خمسين الف جنيه . ويحكى عن هذا المصور انهُ كان يعرض صورهُ ويقف وراءها مختفيًا ليسمع ما يقولهُ الناس في انتقادها فيصلحها واتفق انهُ عرض مرة صورة فمر بها اسكاف وانتقد شكل الحذاء ولما ذهب خرج ابلس من مخبإهِ واصلح الحذاء كما اشار الاسكاف . ثم مرَّ الاسكاف في اليوم التالي ورأى الحذاء مصلحًا فحملهُ الغرور على انتقاد شكل الساق فخرج اليهِ ابلس وقال لهُ "ابقَ في الحذاء" فذهبت مثلاً ويقال ايضًا ان الاسكندر زارهُ مرةً في بيتهِ واخذ يتكلم عن التصوير كلامًا يدل على

جهلة لعلمائهم فانهزم ابليس وقال اصمت لاني اسمع الاولاد الذين يزجرون الادهان يضحكون عليك

وشاع تصوير الناس في زمن الجمهورية الرومانية حتى كان ابناء الاشراف يتمثلون بسيماء اسلافهم المحفوظة عندهم ولم يكن يسمح لاحد ان يتصور ما لم يكن من الاشراف او من الذين لهم شأن كبير بين قومهم كالمؤلفين ونحوهم وكان المؤلفون يضعون صورهم في صدر كتبهم كما يفعل بعضهم الآن

ولقد كثر مصورو الاشخاص في مبدأ العصر ولكن الفاحصين منهم قليل جداً . فقال بعضهم ان باظهار مقالي الوجه اهم ما في فن التصوير فان المعاني تدل على اخلاق الانسان فيجب ان يصور او يمثل وهو في حالة السكينة غير منفعل بانفعال نفساني لان احسن صورة يمثلها الظاهر اماره من الامارات التي تعرض للانسان في بعض الاحيان ولا تكون في وجهه دواماً ولا سيما اذا تأدا طبايع المصورين تلقاء نفسه كأن يصور الم تاسا والبنان لا تدلان على التبسم ويصور العينين في هيئة القلق او التفكير والحاجبين لا يدلان على ذلك . ثم ان ملامح الوجه تتوقف على لونه كما تتوقف على شكله فاذا لم يحسن المصور وضعها وحاكاة الطبيعة بها افسد الصورة وهو يحاول اصلاحها

وقال آخر ان حسن الصور يتوقف على المصور كما يتوقف على المصور فيجب ان يحاكي في حالته الطبيعة غير متصنع ولا متكلف شيئاً

ويجب على من يصنع صورة ان لا يلبس لباساً يختص بزمان ويتوقف الى آخر لئلا يستهجنها العين وتستبشع الصورة معها كعمم والطربوش واشكال البرانيط والازياء الفرنسية كالاكمام الواسعة التي كان الناس يلبسونها عند عهد قريب والطراطير التي كن يضعنها على رؤوسهن وذوائب القرن المتدلي وبعض الازياء التي تتغير من عام الى آخر سواء كانت خاصة بلبس النساء او في لبس الرجال ولهذا يحذر تصوير الرامز والمعمق وغير ذلك مما يصدر مكشوفة كالبان الوجه يجد يكون الدلالة على المراد ولا يزيد تعرفاً باللابس وتالي وكل ما يضاف الى الصورة مما تشبه النظر اليه يحط من قيمتها كصورة تخصص اذ تصغر المراد توجيه النظر الى ما فيها من شكل اللابس لا نواع الحلي والتاشير . على هذا الاسلوب جرى المصور رايلط الانكليزي الذي كان من اتباع مصوري القرن الثامن عشر في تصوير الاشخاص كما يرى في الصورة المقابلة وهي صورة احدين صورها على اسلوب بسيط جداً اكسبهما جمالاً فوق جمالها الفطري حتى يضرب المثل بجمال صورتيهما

وقد اشتهر في هذا العصر مصور آخر للاشخاص وهو المستر السن روبرتس فما تجد جميلة من جميلات الانكليز الاَّ وجلست لهُ فصورها صورة او اكثر على غاية البساطة والغالب انهُ يكتفي بتصوير الراس والعنق والنحر وشيء من الصدر واذا صوَّر الجسم كلهُ صوَّر وراءهُ اشجاراً وتلالاً كأن الشخص المصوَّر واقف في غاب او بستان والبس البدن لباساً رومانياً بسيطاً ولا يضع شيئاً على الراس الاَّ في الصور الخيالية فيختارهُ حينئذٍ مما يزيد بهِ جمال الوجه ظهوراً

ومما يمتاز بهِ هذا المصور انهُ يحدِّث من يجلس لهُ للتصوير حديثاً فكاهياً دائماً ما دام جالساً امامهُ حتى يصورهُ وهو على تمام الرضا والسرور. ولا يكون جمال الوجه على اتمهِ الاَّ حينما يشمل السرور النفس

وما يقال عن مهارة الذين يصورون الاشخاص بالزيت يقال عن مهارة الذين يصورونهم تصويراً شمسياً فان آلة التصوير كالمرآت ترسم المرئيات كما هي تماماً من غير زيادة ولا نقصان الاَّ في اخفائها الالوان وجعلها كلها سوداء او بيضاء. لكن هيئة المصوَّر تختلف كثيراً حسب بشاشة وجههِ او عبوستهِ حالما تؤخذ صورتهُ وحسب الوضع الذي يجلس فيهِ امام آلة التصوير. والبراعة في ذلك ليست بالامر السهل فلا يشتهر المصوِّر ما لم يعرف كيف يجلس زبائنهُ امامهُ وكيف يحكِّم النور والظل عليهم وكيف يلتفت اليهم ويحادثهم حتى يكون في وجوههم من البشاشة والطلاقة او من العبوسة والصرامة ما هو غالب عليهم

ولبعض النساء جمال رائع برع مصورو الشمس في تصويرهِ حتى صار الناس يتهافتون على ابتياع صورهنَّ. وهنَّ يربحن من ذلك ربحاً طائلاً فمنهنَّ سيدة اسمها مسز لنجتري بيع ثمانمئة الف صورة فوتوغرافية من صورها باعها المصورون وباعة الصور واعطوها جانباً من الربح قبلغ نصيبها منهُ عشرة الاف جنيه. وسيدة اخرى اسمها ماري اندرصن بياع من صورها مئة الف صورة كل سنة. وفتاة اميركية بيعَ من صورها في ساعتين من الزمان ما بلغ ربحها منهُ الفي جنيه. وفي بلاد الانكليز الآن ست سيدات تربح كلٌّ منهنَّ من الف جنيه الى خمسين جنيهاً في السنة من بيع صورها. ولا تباع صورة في اوربا كما تباع صورة ملكة الانكليز ولولاك ان تتقاضى ربحاً من بيع صورها لبلغ ربحها من ذلك الوفاً كثيرة من الجنيهات

ويدخل في هذا الباب حفر الصور باليد او بالوسائل الميكانيكية او الكيماوية حتى تأتي منطبقة على الصور الزيتية او الشمسية وسنعود الى هذا الموضوع في جزء تالٍ